**مفارقات كاظم الحِجّاج ليست أسلوبًا.**

**أحمد الزبيدي.**

في حوار مع الشاعر الكبير: كاظم الحِجّاج، في مجلة الأديب العراقي، الصادرة عن اتحاد الأدباء والكتاب في العراق، حاوره كاتب السطور، وسأله عن سرّ هيمنة أسلوب المفارقة على شعره؛ فقال : (ليست الفارقة أسلوبا عندنا\_ نحن البصريين\_ بل هي سنة حياة ..) هل بالغ الحِجّاج في تصوّره؟ أكان متعصّبًا إلى ( عاصمته!)؟ ولو التفت القارئ إلى أمد ليس بالقريب لأبصر أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ( رائد ) المفارقة في الأدب العربي؛ وكان هذا الفتى (الجاحظ ) ناقدًا مفارقًا\_ أيًضا\_؛ وهو الآخر متعصّب لمدينته وأبنائها الشعراء، فقد فضّل الشاعر البصراوي الصبي ،أبا نوّاس، على شيخه الصحراوي الهرم المهلهل بن أبي ربيعة، وحينها لم يكن أبو نواس من الشعراء الفحول!.. ولا أعني بالتعصّب غياب الموضوعية، وطفح الذاتية، وضعف المنهجية، وإنما أعني بها ( الوعي الذاتي ) بقيمة الفضاء الثقافي المتوارث من نسل أبناء هذه المدينة، التي تورث الإبداع لأبنائها منذ أن شهدت المعرفة نضجًا على يدها.. ولماذا نذهب بعيدًا أليست هي أول ( مدينة ) أسست ( مؤتمرًا ) سنويًّا: علميًّا وإبداعيا، في سوق المربد ؟ وكان أول المدعوين جرير والفرزدق ؟وما الذي جاء بنا، اليوم، إلى البصرة، أليس (المربد)؟ .

وإذا ما كانت المفارقة في مفهومها العام والبسيط تعني ( الاستخدام المراوغ للغة ) فإنها تعني \_ عند الحِجّاج\_ وعيًا ثقافيا ،وقصدية جمالية، وموقفاً، ورؤية عالم، يتخذها الأديب إزاء واقعه وقضاياه وليس كونها كلاما يبدو في غير مقصده الحقيقي الظاهري فحسب .. وحين اتحدث عن المفارقة فإني أعني بها \_ أيضًا \_ السخرية التي هي ( ضرب من قلب المعنى ، وشكل أسلوبي قوامه إبلاغ ما يراد قوله من خلال قول العكس بالتحديد مع قصد التهكم أو الطعن .) ولعلي لا أبالغ لو قلت: إن المفارقة الساخرة تمثّل أعلى درجات الوعي المعارض، وأرقى أساليب الهجاء والمغالطة اللغوية بنسق أسلوبي انزياحي مضاعف عند كاظم الحجاج؛ وهذا ما يدركه المتلقي لنصه الشعري، وخاصة في قصائده ما بعد الاحتلال، إذ جاء الأسلوب تعبيرا عن حالة ( الرفض ) الواعي والموقف المبدئي المتوزع بين موضوعات مختلفة؛ لكنها تشترك في ثيمة محددة، وهي المواجهة مع ( التابو ) مواجهة مباشرة بأسلوب مراوغ.. حتى أصبحت المفارقة الساخرة دالًا شعريا على كاظم الحجاج، بحيث إنك إذا قرأت قصيدة مفارقة ولا تعرف صاحبها سيغريك حسن الظن أو سوئه، انتسابها إلى الحجاج، وإن لم تنتمِ!

وفي ضوء ما مر ذكره، فإن أسلوب المفارقة الساخرة يعدّ ( هوية ): جمالية وثقافية عند الشاعر فأسّس خطابًا سياقيا تحول إلى طاقة مرجعية، توليدية ونسقا جماليا معياريا. وإنها بالنسبة له ( أسلوب حياة ) أوصله إلى لقب ( جاحظ البصرة ).. العالم بالقيمة الثقافية لمدينته التي غذّته طاقة السخرية، والعارف برفعتها الجمالية، ولذلك لم يقل في شعره ( أنا ) .. إذ تجده لا يفارق هويته ودائما يأتي نداؤه بالضمير ( نحن ) : ( نحن مَن نطفيء الشعر حين ننام) و ( نحن البصراويين نسمي الدبس الصافي جدا دبس الدمعة/ ويباع، هنا، في سوق الخَضّارة أغلى جدا من دبس آخر لم يدمع ).. وعلى ذكر المفارقة، أخبرني الشاعر كاظم الحجاج أنه كان مرة في جلسة شعرية له في مدينة إربد الأردنية، ولاحظ واحد من الحاضرين أن بعض قصائده القصيرة تتشابه في تهكمها مع بعض قصائد أحمد مطر فأجابه \_ الحجاج \_ : ( لأننا أبناء مدينة واحدة، هي بصرة الجاحظ.. ولقد صُدِم السائل وكثير من الحاضرين أن يكون أحمد مطر بصراويا، وهم يتوهمونه : سوريا أو لبنانيا أو فلسطينيا..

وكان حقًا على ( المربد )، أن يحتفي بالأخوين\_ بـ ( المفارقة )\_، وبوريثي الجاحظ.. ففي شعرهما الكثير من ( البصرة ) .